



تاريخ الاستلام: 2024/06/21 تاريخ القبول: 2024/10/19

ملخص:

عرفت نوميديا في عهد الامبراطور "قسطانتيوس" في منتصف القرن الرابع الميلادي، ثورة اجتماعية عسكرية ضد سلطة الاحتلال الروماني، الذي استولى على نوميديا وحرم سكانها من استغلال خيراتها. فكانت معظم مدنها وقراها مسرحا لأحداث عنيفة واضطرابات خطيرة، كما دلت على ذلك المصادر المتعلقة بالدوناتية. وقد أثارها "الدّوارون"، وذلك بمهاجمة مزارع كبار الملاك والأسياد والدّائنين، وعارضوا بقوة تطبيق الإجراءات التي اتخذها الإمبراطور ضدهم. تهدف هذه المقاربة إلى تسليط الضوء على حركة الدّوارين الثّورية في بداية القرن الرابع الميلادي، من خلال نصوص المصادر التاريخية والأدبية، فقد كانوا يُشكلون رؤوس رماح النّوميد ضدّ السّلطة الرومانية. كلمات مفتاحية: ثورة الدّوارين؛ نوميديا؛ روما؛ الانشقاق؛ الهرطقة.

Abstract:

During the reign of Emperor Constantius in the middle of the fourth century AD, Numidia witnessed a social and military revolution against the Roman occupation authority, which seized Numidia and deprived its inhabitants of exploiting its resources. Most of the cities and villages were the scene of violent events and serious disturbances, as indicated by sources related to Donatism. It was provoked by the "Rotaries", by attacking the farms of major landlords, masters, and creditors, and they strongly opposed the application of the measures taken by the Emperor against them.

This approach aims to shed light on the revolutionary movement of the Rotators at the beginning of the fourth century AD, through the texts of historical and literary sources, as they were the spearheads. Numid against Roman authority.

Keywords: : roundabout revolution; Numidia; Rome; Defection

ثورة الدّوارين الاجتماعية في نوميديا ضدّ السّلطة الرومانية (القرنين الرابع والخامس الميلاديين)

The revolution of the social revolutionaries in Numidia against Roman authority (during the fourth and fifth centuries AD)

الربيع عولمي / جامعة باتنة

(الجزائر)

rabieoulmi@gmail.com

إنَّ التَّاريخ المغاربي ضارب في القِدَم، حُطَّ على تراب هذه الأرض بعرق سكانها ودمائهم، ومن جهودهم وتضحياتهم. فقد كان هذا الميراث الحضاري الذي وسم الأرض وأهلها بالميزات الكريمة، وبالخصائص التي عرفتها على مرِّ السنين. ولو ساع لأحد أن يلخص كنه هذا التَّاريخ في كلمة مختصرة ودالة لقال: إنه الانكباب على العمل في الأرض، والوقوف في وجه الأجنبي الدَّخيل على امتداد زمني يفوق الثلاثين قرناً.

نتناول في هذا البحث ثورة الدَّوَّارين "الرَّيفيين الأوراسيين" بنوميديا قبل سنة 347م، أي قبل قدوم المبعوثين الإمبراطوريين "بولوس" (Paulus) و"مكاريس" (Macarius) اللذان أرسلهما الإمبراطور "قسطنطيوس" (Constantius) لإحصاء الفقراء وتوزيع المساعدات بهدف تحقيق الوحدة. ونعالج أحداث بغاي التي وقعت سنة 347م.

يصعب على الباحث تحديد بداية ثورة الدَّوَّارين "الرَّيفيين الأوراسيين" بنوميديا بشكل دقيق لكن يبدو - حسب "أوغسطين" - أن نشاط حركة الدَّوَّارين ضدَّ الرُّومان بدأت بداية القرن الرَّابِع الميلادي. ومن أبرز الدِّراسات الحديثة التي اهتمت بتاريخ الدَّوَّارين، تلك المحاولات التي قام بها الباحثان "سرج لانسال" (1) (Serge Lancel) و"أوديت فاني" (2) (Odette Vannier).

هذا ما يدفعنا لطرح العديد من التَّساؤلات حول هذه الثَّورة: لماذا كان الدَّوَّارين دوماً تواقين إلى الحرية والعدالة الاجتماعية؟ ما علاقتهم بالكنيسة الدَّوناتيَّة؟ كيف تمكَّنت هذه الثَّورة من تقويض أركان الاستعمار الرُّوماني في شمال إفريقيا؟

2. ظهور حركة الدَّوَّارين

يبدو أن حركة الدَّوَّارين كانت موجودة منذ سنة 340م على الأقل، والأرجح أنها بدأت قبل ذلك بمدة، حتَّى تدخل جنود "طورينوس" Taurinus. ونستنتج من هذا أن الحركة استفحل أمرها، خاصَّةً وأنها بلغت درجة لا يستهان بها من حيث التَّنظيم والمبادئ وطريقة العمل (3)، حسب ما أورده جون بول بريسون.

يتعذر على الباحث تحديد تاريخ ظهور حركة الدَّوَّارين بدقة. لكن وانطلاقاً من المصادر المتوفرة، فإن الدَّوَّارين ظهرت قبل حادثة "محلة أكطافا" سنة 340م، والأرجح أن حركة الدَّوَّارين بسماتها التَّاريخية تكون قد ظهرت بعد سنة 320م، لأن ذكرهم لم يرد في محضر "زينوفيلوس" (Zenophilus) والي نوميديا. ومن جهة أخرى فإن وجودهم كان شيئاً واقعاً حوالي سنة 340م. لذا فإن ظهور الحركة كان في الفترة ما بين عامي 320م و340م (4).



نستنتج مما سبق - وحسب المصادر التي توفرت لدينا- أن حركة الدّوّارين قد ظهرت بهذه التّسمية وبعلامتها وسماتها التّاريخية التي عرفت بها خلال القرن الرّابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، قبل سنة 340م وبعد سنة 320م على وجه التّرجيح.

يعتبر نص "أوبطاميلي"⁽⁵⁾ والذي ورد في الفصل الرّابع من الكتاب الثّالث أقدم إشارة صريحة إلى الدّوّارين والمصدر الوحيد الذي تطرق إليهم بشيء من التّفصيل في فترة ما قبل سنة 347م⁽⁶⁾.

يمكن أن نضع حركة الدّوّارين تحت المجهر في ضوء النّصوص القديمة والأبحاث الحديثة، وأن نتساءل: من هم "الدّوّارون" أو "الثّوار الرّيفيون الأوراسيون"؟ هل هم ثوار من النّوميد ضدّ الاستعمار الرّوماني الذي سلبهم أرضهم وثرواتها حتّى أصبحوا فقراء؟ أم هم مجرد عصابات متمردة هائمة تحوم حول أهراء الحبوب وتمارس عمليات التّهب والسّلب، كما حاول المجادلون وصفهم؟⁽⁷⁾ أم هم جماعات كانت تنقل عبر الأرياف النّوميديّة والموريّة بحثا عن قوتها؟ أم جماعات من قطاع الطّرق تزرع الدّعر في نفوس الأمنين، وتشكل من المتشردين والصّعاليك يتنقلون بين مدن نوميديا؟⁽⁸⁾.

هل هم ثوار قاوموا النّظام الرّوماني؟ أو مجموعة من المصارعين (*Agonisticii*) الذين أطلقوا هذه التّسمية على أنفسهم والتي تدل على قوتهم الجسدية وفعاليتهم في مواجهة أعدائهم؟⁽⁹⁾ أم هم جنود مسلحون⁽¹⁰⁾ أم هم زعماء وطنيين⁽¹¹⁾.

3. ماهية الدّوّارين في المصادر التّاريخية والدّراسات الحديثة

تباينت آراء الباحثين حول ماهية الدّوّارين والتّسميات المختلفة التي عرفوا بها في المصادر وفي الدّراسات الحديثة، سنحاول من خلال هذه المقاربة استجلاء أسباب إطلاقها ومدلولاتها.

1.3. مفهوم "الدّوّارين" لغة واصطلاحا

1.1.3. مفهوم "الدّوّارين" لغة

أطلقت عدة تسميات على الدّوّارين، وأمام تعددها كان على الباحث استجلاءها والبحث عن أسباب إطلاقها ومدلولاتها. ويبدو أن معظم الباحثين قد اختلفت آراؤهم وتباينت حول تسمية الدّوّارين، لذلك لا زالت الحركة تشكل لغزا ومحل تساؤلات عديدة.

تعارض الباحث صعوبات جمة في تحديد معنى كلمة "الدّوّارين" (كيركوم كليونس) (*Circumcelliones*) غير أن الصّعوبة لا تكمن في الاشتقاق اللّغوي، فالمصطلح اللّاتيني يتركب من جزأين: "*Circum*" و "*cella*".⁽¹²⁾ فالجزء الأوّل: كيركوم "*Circum*" يعني "حول"، أما الجزء الثّاني: كيلا "*cella*" فمعناه إما "هري" وجمعها



"أهراء" كيلاس (cellas) أو "مخزن المؤن" (من خمور أو زيوت أو حبوب)⁽¹³⁾. وهذا التعريف اللغوي هو الذي ظل متداولاً حتى الآن في المعاجم والقواميس اللاتينية.

2.1.3. مفهوم "الدّوارين" اصطلاحاً

جاءت في المصادر التاريخية تعاريف عدة للدّوارين، فقد ذكرهم القديس "أوغسطين" بقوله: « كانوا يسمون بالدّوارين لدورانهم حول الأهراء »⁽¹⁴⁾ أو أنهم: « أولئك الذين يحومون حول الأهراء الرّيفية (Cellas rusticanas) بحثاً عن القوت، ومن ثمّ جاءت تسميتهم بالدّوارين.... »⁽¹⁵⁾.

يتضح مما سبق أن القديس "أوغسطين" اكتفى في تعريفه بالإشارة إلى الاشتقاق اللغوي، وترك بذلك الباب مفتوحاً لعدة تساؤلات وتأويلات. ويعرف معظم المؤرخين المحدثين⁽¹⁶⁾ "الدّوارين" اصطلاحاً بأنهم: أولئك الذين يدورون ويحومون حول الأهراء. غير أنه برز في مطلع 1950 تفسيرين جديدين لمعنى "cella". فقد افترض الإنجليزي "فراند" (Frend) أن كلمة "كيلاس روستيكاناس" (cellas rusticanas) التي وردت في نص "أوغسطين" لا تعني "الأهراء الرّيفية" وإنما معناها "أضرحة الشّهداء الرّيفية" التي كانت متناثرة في الأرياف النّوميديّة والموريطنانية. ذلك أن الدّوارين كانوا يشكلون فرقة من الدّوناتيين يرتادون تلك "الأضرحة الرّيفية" للتبرّك برفات الشّهداء من جهة، والبحث عن قوتهم فيها من جهة ثانية⁽¹⁷⁾. إذ أن هذه الأضرحة كانت تتوفر في الغالب على مخازن للمؤن ومستودعات غذائية⁽¹⁸⁾ كشف علم الآثار عن بقاياها⁽¹⁹⁾.

أما التفسير الثّاني، فقد افترضه الباحث الإيطالي "كالدرّون" (Calderone) سنة 1967م، واعتبر أن الدّوارين كانوا نوعاً من العباد، ومن هذا المنطلق فإن المقصود بـ "cella" هو "بيت الرّاهب"⁽²⁰⁾. يتضح من خلال المدلولات الاسمية السّابقة التي أطلقت على الدّوارين وصفين مختلفين: المدلول الأوّل الذي درج أصحاب الجدل على إطلاقه بهدف تشويه هذه الحركة ووصفها بأنها غير أخلاقية تمارس السّلب والنّهب وتسعى إلى ترويع النّاس. وفي نفس الوقت نلمس إقراراً ضمّنيّاً من طرف هؤلاء المجادلين بقوة الحركة وانتشارها من خلال الاعتراف بوجود الدّوارين في كلّ مكان وكلّ مدينة من المدن النّوميديّة والموريطنانية.

4. الدّوّارون في المصادر الدّينية

اختلفت آراء الباحثين حول تسمية الدّوارين، ويرجع هذا الاختلاف إلى تباين الآراء حول نشاطات الدّوارين، وحول طبيعة حركتهم. وتجدر الإشارة هنا أن مختلف هذه الآراء ترتكز أساساً على نصوص الكتاب الدّينية المعاصرين للدّوارين أو اللّاحقين الذين نقلوا عنهم، وبشكل خاصّ على كتابات القديسين "أوبطاميلي" و"أوغسطين" ضدّ الدّوناتية.



نستشف من هذه المصادر بعض التّسميات التي عرف بها الدّوّارون مثل "المصارعون" (*Agonisticii*)، فهذه التّسمية إما أن الثّوار الرّيفيين الأوراسيين أطلقوها على أنفسهم، أو أطلقت عليهم من قبل الدّوناتيين ⁽²¹⁾. يبدو أن هذا التّعت له مدلول إغرائي هدفه إعطاء بعد روحي لحركة الدّوّارين لاستمالة الأهالي وكسب تعاطفهم.

لذلك كان من الضّروري الرّجوع إلى النّصوص التّاريخية -وكتابات "أوغسطين" على الخصوص- وبعيدا عن جو الجدل الكلامي وعبارات القدح والقذف والتّجريح.

يبدو أنه من الأفضل الانطلاق من وثيقة رسمية صدرت عن السّلطة الإمبراطورية آنذاك، ويتعلق الأمر بقانون "هونوريوس" (*Honorius*) الذي صدر في 30 جانفي سنة 412م. ويحدد هذا القانون قيمة الغرامات المالية والعقوبات المزمع تطبيقها على الدّوناتيين.

وينص القانون على ما يأتي: « اعتبارا من تاريخ صدور هذا القانون، إذا لم يلتحق كلّ الدّوناتيين ...، فليرغموا على أداء غرامة فردية إلى خزينتنا وذلك حسب ما يأتي: "المشاهير" *Inlustres*: 50 رطلا من الذهب، "الأشراف" *Spectabiles*: 40 رطلا من الذهب، "السّيناتوريون" *Senatores*: 30 رطلا من الذهب، "اللامعون" *Clarissimi*: 20 رطلا من الذهب، "أعيان الإقليم" *Sacerdotes*: 30 رطلا من الذهب، "أعيان المدن" *Principales*: 20 رطلا من الذهب، "أعيان المجالس البلدية" *Decuriones*: 5 أرطال من الذهب، "التّجار" *Negotiatores*: 5 أرطال من الذهب، "عامة المدن" *plebei*: 5 أرطال من الذهب، "الدّوّارون" *Circumcelliones*: 10 أرطال ⁽²²⁾ من الفضة» ⁽²³⁾.

وفي حالة ما إذا لم يقدم "الأكارون" ⁽²⁴⁾ *Conductores* الدّوّارين الموجودين تحت مسؤوليتهم، أو لم يقدمهم "وكلاء الإمبراطور" *Procuratores* إلى "المكلّف بتنفيذ القانون" (*Executor*) كي يؤدوا الغرامة، فإنهم مطالبون شخصيا بأدائها، بحيث لا يعفى منها حتّى أهل البيت ولتخضع النّساء للغرامة الزوجية على انفراد.

وهكذا سوف يتعرض كلّ من أصر على البقاء في الدّوناتية - رغم الأحكام الصّادرة عليه- إلى مصادرة ممتلكاته، أما العبيد (*Serve*) الرّافضون لتنفيذ هذا القانون فيودعون السّجن، وأما المزارعون (*Coloni*) فيتعرضون للجلد، ويمكن لأسيادهم أن يقوموا بتسديد الغرامات المفروضة عليهم ⁽²⁵⁾.

تكتسي الإشارة إلى الدّوّارين (*Circoncillions*) في نص قانوني رسمي مثل قانون "هونوريوس" في حد ذاته أهمية بالغة، إذا ما استثنينا إشارة أخرى في قانون الملك الوندالي "هونوريك" (*Huneric*) ضدّ الكاثوليك في سنة 484م، والذي هو عبارة نسخة منقولة نقلا شبه حرفي عن "قانون هونوريوس" ⁽²⁶⁾.



ويرجع الفضل إلى الباحث الفرنسي "شارل صوماني" في لفت نظر الباحثين إلى هذا القانون حيث كانوا لا يعيرونه اهتماما دون تحليله واستنتاج ما يمكن استنتاجه من النص.

تتجلى أهمية النص في أنه يحدد قيمة الغرامات المالية حسب مختلف الفئات الاجتماعية (*ordines*)، وبما أن الجنحة هي اعتناق الدوناتية، فإن تفاوت قيمة الغرامة المالية إنما يعود إلى تفاوت الإمكانيات المالية لكل فئة من هذه الفئات وحسب المكانة الاقتصادية والاجتماعية لمختلف هذه الفئات المذكورة في القانون (27).

وتتدرج هذه العقوبات من أعلى الفئات مثل: المشاهير واللامعون والسيناتوريون، إلى الطبقة البورجوازية الحضرية مثل: أعيان الإقليم، وأعيان المدن وأعيان المجالس البلدية، وتجار وعوام المدن مثل: التجار وعامة المدن، إلى الفئات الدنيا مثل: العبيد والمزارعون.

أما فئة الدوّارين التي نحن بصدد دراستها فقد صنفت في أدنى مرتبة من الفئات التي تمثل الرّجال الأحرار، ومباشرة بعد عامة المدن، لكنها ذكرت قبل فئة العبيد والمزارعين.

وقد اهتم باحثان (*) بدراسة هذا النص فأدخلا بعض التعديلات على قراءة صوماني:

1- يرى "ج. ب. بريسون" (*J.P. Brisson*) أن الفقرة الآتية التي وردت في قانون "هونوريوس": « وهكذا سوف يتعرض كلّ من أصر على البقاء في الدوناتية - رغم الأحكام الصّادرة عليه - إلى مصادرة ممتلكاته » ، فمصادرة الممتلكات لا تعني الدوّارين وحدهم كما كان يعتقد "صوماني" (28). لكن الفقرة تهّم كلّ الفئات التي ذكرت قبل الدوّارين، كما تهّم الدوّارين أيضا (29). المهم في ذلك أن الدوّارين كانوا معرضين لمصادرة ممتلكاتهم كبقية الفئات، مما يعطي الدليل على أن القانون اعترف لهم ضمنيا بامتلاكها.

2- بينما اقترح "تغستروم" (*E. Tengström*) قراءة أخرى للفقرة الآتية: « وإذا لم يقدم "الأكارون" الدوّارين الموجودين تحت مسؤوليتهم، أو لم يقدمهم "الوكلاء" إلى المكلف بتنفيذ القانون كي يؤدوا الغرامة، فإنهم مطالبون شخصيا بأدائها... » (30).

يرى "تغستروم" أن الضمير (*ipsi*) في الجزء الأخير من الفقرة، لا يعود على الدوّارين كما قرأه "صوماني" (31) و"بريسون" (32)، ولكن يعود على الأكارين والوكلاء.

وقد نالت هذه القراءة رضا بعض الباحثين (*)، فبالرغم من أنها تبدو أكثر تلاؤما مع سياق النص إلا أنها لا تدخل تغييرا ملحوظا عليه، إلا من حيث مسؤولية الوكلاء ومسيرة الأعمال في الضغط على الدوّارين كي يتخلوا عن الدوناتية، فهم المكلفون بتسليم الدوّارين إلى منفذ القانون (*Executor*).



لقد كان الدّوّارون يشكلون فئة من الرّجال الأحرار، المعرضين لأداء غرامة مالية ومصادرة ممتلكاتهم، إذا لم يذعنوا لمقتضيات قانون "هونوريوس". لذلك نرى أن وضعيتهم كانت تختلف عن وضعية العبيد والمزارعين الذين كانوا معرضين للعقوبات الجسدية (السّجن والجلد).

ويبدو أن مسيرو الأعمال لم يكونوا متحمسين للمهمة التي أوكلت لهم حسب قانون "هونوريوس"، لذلك صدر بعد ذلك بسنتين قانون في سنة 414م⁽³³⁾. وكان أقسى عليهم من قانون سنة 412م الذي نص على: « أما مستأجري ضيعاتنا، إذا هم سمحوا بممارسة الهرطقة (الدّوناتية) فوق أراضينا، فليعاقبوا بأداء قدر من المال يساوي القدر الذي يسددونه عادة ككراء عن الضّيعات. وأما المستأجرون الخواص، فإذا سمحوا بانعقاد تجمعات "دوناتية" في الملكيات أو أدى تساهلهم إلى تدنيس الأسرار المقدسة (*SacrumMysterium*)، فليخبر القضاة بذلك الملاك المعنيين. وعلى هؤلاء إما أن يصلحوا اعوجاج المستأجرين، وإما أن يعوضوا من تمادى منهم في غيهم بمديرين متشبعين بالمبادئ الإلهية. وأما الملاك الذين تهاونوا في إخبار السّلطة، فليعاقبوا بغرامة مالية قدرها الرّبع الذي اعتادوا كسبه (من أراضيهم) »⁽³⁴⁾.

يبدو أن السّلطة الرّومانية كانت تعتبر الملاك نوعا من الوسطاء بينها وبين المستأجرين. كما كانت تعتبر هؤلاء الأخيرين وسطاء بينها وبين الدّوّارين. ومع أن قانون سنة 414م لم يذكر الدّوّارين صراحة، إلّا أنّه كان يقصدهم عبر تحميل المستأجرين مسؤولية تجمعات الدّوّارين وتدنيسهم للأسرار القدسية في الأراضي الإمبراطورية أو أراضي الخواص.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القانون لم يحدد أي عقوبة بخصوص الدّوّارين، في حين نص على عقوبات خاصّة بالعبيد والمزارعين: كالسّجن والجلد فضلا عن انتزاع ثلث ($\frac{1}{3}$) المكسب بالنّسبة للمزارعين⁽³⁵⁾. كما أن غياب الدّوّارين في قانون سنة 414م لا يدل على اختفائهم "كأوردو – Ordo" (فئة اجتماعية) لسبب أو لآخر، إذ أن القانون لم يذكر أيضا فئات أخرى مثل: اللّامعون (*Clarissimi*) والتّجار (*Negotiatores*) وعوام المدن (*Plebei*)⁽³⁶⁾.

مما يلاحظ على قانون سنة 414م أنه كان أقل صرامة من قانون سنة 412م من حيث قيمة الغرامات المالية المفروضة على الفئات الاجتماعية العليا (المشاهير، الأشراف، اللّامعون، السّيناتوريون...) في حين كان أكثر تشددا مع الفئات الرّيفية (مزارعون، عبيد).

واعتقد أن هذا التّفاوت في معاملة القانون للفئتين يعود أساسا إلى:

- 1- أن الفئات الرّيفية كانت أكثر تأثرا بالدّوناتية من غيرها، وأكثر مقاومة لقانون "هونوريوس" سنة 412م، ومن ثمّ جاء التّشدد من طرف المشرع تجاه هذه الفئات.



2- أن الضَّغَط أصبح مركزاً على المستأجرين، إذ أنهم أصبحوا مهددين بفسخ عقودهم مع ملاك الأراضي، مما يدل على أن الدولة لاحظت من تجربة سنتين (412-414م) مدى تهاونهم في تطبيق قانون "هونوريوس" سنة 412م.

ويمكننا أن نتساءل عن مدى تطابق معطيات هذا النص القانوني مع المعلومات التي يمكن استخلاصها من النصوص والمصادر الأدبية عن الدَّوَّارين؟

تشير تلك النصوص إلى أن الدَّوَّارين كانوا يضمون في صفوفهم عدداً كثيراً من السَّكان الأصليين الذين رفضوا سياسة الرُّومنة. إذ يذكر "أوبطاتوس الميلي" أنه في حوالي سنة 340م كانت جماعات من الدَّوَّارين في نوميديا يترأسها زعيمان يحملان اسمي "أكسيدو" (*Axido*) و"فازير" (*Fasir*) في سياق حديثه عن المعركة التي دارت بينهم وبين فرق الكونت "طورينوس" (*Taurinus*)⁽³⁷⁾.

في حين يحدثنا "أوغسطين" عن بداية ظهور جماعات الدَّوَّارين التي تعود إلى سنة 317م عشية الإعلان عن مرسوم "قسطنطين" الذي ينص على نزع ممتلكات الدَّوناتييين.⁽³⁸⁾ ونلاحظ أن اسمي "أكسيدو" و"فازير" لا ينمان عن ترومن عميق.⁽³⁹⁾ كما يشير "أوغسطين" إلى أن الدَّوَّارين في ضواحي مدينة "هيبو ريجيوس" (*Hippo-Regius*) "عناية حالياً" كانوا لا يفقهون اللغة اللاتينية⁽⁴⁰⁾. لذلك كانت اللغة البونية (الليبية؟) ضرورية للتفاهم معهم⁽⁴¹⁾.

وتذكر نصوص أخرى الدَّوَّارين بلهجة تحمل الكثير من الاستغراب والاستهجان، حيث يتحدث عنهم "أوغسطين" قائلاً: «... تلك المخلوقات الفظة والمخبولة التي لا تفهم ولا تحتمل ما ننصحها به في سبيل خلاصها، والتي تمارس ضدنا أعمال عنف مسعور لا تكفي كلماتي لتعدادها والتذكير بها وعرضها عرضاً مناسباً»⁽⁴²⁾.

يبدو من النص أن "أوغسطين" يتحامل -كعادته- على الدَّوناتييين ويصفهم بالمخلوقات، وهو بذلك ينزع عنهم صفة الأدمية، وأنهم جماعات تمارس العنف ضدَّ الكاثوليك. ويشير في فقرة أخرى إلى ذلك التعاون بين الدَّوَّارين والكهنة (*Clerici*) الدَّوناتييين لاقتراف الجرائم في حق الكنيسة الكاثوليكية⁽⁴³⁾.

ومهما يكن من أمر، فإن معظم الدَّوَّارين كانوا ينتمون إلى أصول إفريقية، مع عدم تأثرهم بقيم سياسة الرُّومنة وباللغة اللاتينية، وهذا ما يتلاءم مع المستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي ذكرهم به قانون سنة 412م.

ولما كان الدَّوَّارون يتنقلون من مكان لآخر، فإن عدم استقرارهم ساعدهم على عدم التأثير بسياسة الرُّومنة. ففعلاً فقد كان تنقلهم وعدم ثباتهم في مكان معين من أبرز السمات التي اتصفوا بها، والتي أثارت انتباه بعض



الكتاب المعاصرين لهم، ومنهم من وصفهم بـ "*Circuitores*"⁽⁴⁴⁾ والتي لا تفيد أكثر من معنى "دوّارين" أي الذين يحومون حول الأهراء أو أضرحة الشّهداء.

وتحدث عنهم "أوغسطين" في حوالي سنة 420م إذ قدمهم على الشّكل الآتي: «إنني أتحدث عن وقائع يعرفها المعاصرون حقّ المعرفة. فمن منا لا يعرف ذلك النّوع من النّاس الذين لا يكفون عن اقتراف الجرائم الشّنيعة، ويستنكفون عن الأعمال النّافعة، شديدي القسوة في قتل الآخرين، وبالغي الدّناءة في قتل أنفسهم، يرهبون البوادي خاصّة، لكن لا يشاركون في الأعمال الفلاحية، يحومون حول الأهراء الرّيفية (*Cellasrusticanas*) بحثا عن القوت-ومن ثمّ جاءت تسميتهم بالدّوّارين-ومن منا لا يعرف أنهم يمثلون في العالم أجمعه أشهر وصمة عار في جبين الانشقاق الإفريقي»⁽⁴⁵⁾.

يلخص هذا النّص نظرة رجال الدّين إلى الدّوّارين، مشيرا إلى أهمّ السّمات التي اتصفوا بها - في رأيهم-، ومنها أن الدّوّارين كانوا يقتطفون جرائم شنيعة كالاعتقالات. وأنهم لا يتوانون في قتل أنفسهم إراديا (الانتحار الإرادي رغبة في الاستشهاد). وأنهم جنود الدّوناتية ورؤوس رماحها، وبذلك فهم يمثلون - حسب "أوغسطين"- أشهر وصمة عار في جبين الدّوناتية.

يبدو -حسب شهادة "أوغسطين"- أن الدّوّارين كانوا يعيشون في الأرياف، برغم لهجة التّحقير والازدراء التي وصفها بهم "ذلك النّوع من النّاس". ونستنتج من ذلك أن الدّوّارين كانوا -على الأقلّ في البداية- شبه منحصرين في البادية وإن كانوا لا يشاركون في الأعمال الفلاحية.

ويؤكد ذلك أقدم نص يتحدث عن الدّوّارين - وهو الفصل الرّابع من الكتاب الثّالث لـ "أوبطاميلي"- حيث ذكر أن الأسقف الدّوناتي بمدينة بغي (*Bagai*) "شمال الأوراس" أرسل المنادين إلى كل ضواحي المدينة وإلى الأسواق ليستنفر الدّوّارين ويحثهم على مهاجمة البعثة الإمبراطورية سنة 347م⁽⁴⁶⁾.

وفي هذا السّياق، يشير "أوغسطين" في أحد النّصوص: «كانت الغارات العنيفة التي يقوم بها دواروكم الذين يهجمون علينا على شكل عصابات مجنونة تحت سلطتكم وأوامركم، تؤدي بنا إلى الطّرد من كلّ مكان في البادية، لو لم نحتجزكم كرهائن في المدن؟...»⁽⁴⁷⁾.

يتضح من النّص أن مجال عمليات الدّوّارين كان مركزا في الأرياف. وحسب "أوغسطين" فإن الدّوّارين كانوا يتحكمون أيضا في المدن وفي المناطق الرّيفية التابعة للضيعات (*Fundi*). ولما كان الدّوّارون يقومون بعمليات في الأرياف فإنهم كانوا يتقدمون أحيانا في غاراتهم على بعض المدن، كما وقع حوالي سنة 409م، حينما قادهم الأسقف الدّوناتي "ماكروبيوس" (*Macrobius*) إلى دخول "هيبو-ريجوس" (عنابة)⁽⁴⁸⁾.



ويمكن أن نخلص إلى أن المصادر كانت تصف الدّوارين "بالرّيفيين" (Agresti) ⁽⁴⁹⁾. ويتفق ذلك مع ما ورد من نعوت في قانون "هونوريوس" سنة 412م من كون الدّوارين كانوا يعيشون في الضّيعات الإمبراطورية وفي أراضي الخواص تحت إمرة المستأجرين، ولذلك نرى أن هناك تطابقاً بين معطيات ذلك القانون والمعطيات التي استقيناه من النّصوص والمصادر الأدبية.

إذن، نحن أمام رجال أحرار يؤلفون فئة اجتماعية محددة حسب قانون 412م، يعيشون في البوادي، ويتنقلون من مكان إلى آخر، لكنهم يستنكفون عن العمل الفلاحي ويرهبون البوادي خاصّة حسب قول "أوغسطين" ⁽⁵⁰⁾.

5. الدّوّارون في الدّراسات الحديثة

تعددت آراء الباحثين المحدثين وكتاباتهم حول الدّوارين، ويعود هذا التّباين في الآراء إلى طبيعة نشاطات حركة الدّوارين وتنوع أساليبها. وترتكز هذه الآراء أساساً على نصوص الكتاب المعاصرين الذين نقلوا عن المصادر الأدبية، وقدموا عدة أطروحات وفرضيات مثل: والباحث الفرنسي "بول مونصو" ⁽⁵¹⁾ (P.Monceaux) والباحثة الفرنسية "أوديت فاني" ⁽⁵²⁾ (O. Vannier) والباحث الفرنسي "ج.ب. بريصون" ⁽⁵³⁾ (J.P.Brisson) الفرنسي "شارل صوماني" ⁽⁵⁴⁾ (Ch.Saumagné) والباحث السّويدي "تنگستروم" ⁽⁵⁵⁾ (E.Tengström) ⁽⁵⁶⁾ والباحث الإيطالي "كالدرّون" ⁽⁵⁷⁾ (S. Calderone).

يعتبر "مونصو" أن الدّوارين: « كانوا مغامرين رُحّل لا بيت لهم ولا مقرّ، يعيشون من التّلقّص، ويحبون الطّواف حول الضّيعات (Circumcellas) ومخازن الحبوب والمؤن، وكانوا يُطلقون على أنفسهم اسم "المصارعين" (Agonisticii) ⁽⁵⁸⁾.

ويدعون أنهم يدافعون عن حقوقهم. وكانت عصاباتهم تتشكل من رعاع الشّعب وأوباشه، ومن المستأجرين من مختلف الأجناس والجهات، فكان من بينهم الأهالي الذين لا يتكلمون سوى اللّغة البونية، والعبيد الآبقون، والمزارعون Coloni المفلسون، والكاثوليك المفصولون عن المجتمع، والمفلسون، والمجرمون ذوي السّوابق، فضلاً عن السّذج المتعصبين. وكان زعماءهم إما من الأهالي، أو من الكهنة الدّوناتييين ⁽⁵⁹⁾. ويمكننا أن نتساءل عن السّبب الذي دفع بـ "مغامرين" و"لصوص" يعيشون من التّهب والسّلب إلى اختيار الاستشهاد الإرادي هذا فضلاً عن أن أهدافهم كانت ترتقي إلى الذود عن الضّعفاء والفقراء ضدّ تعسف وظلم الأغنياء.



والحقيقة أنه لو كان الدّوّارون مجرد عصابات من المغامرين واللصوص، وخليطا -حسب منصو- من العبيد الأبقين والمزارعين المفلسين والمجرمين، لما نظر إليهم قانون "هونوريوس" سنة 412م على أنهم فئة اجتماعية متجانسة نوعا ما. إذ لا يعقل -كما ذكر "صوماني" Saumagne⁽⁶⁰⁾، أن يعترف المشرع بالوجود الشرعي لعصابات من قطاع الطّرق والخارجين عن القانون. ولو كان ذلك صحيحا لكان من السّهل على ذلك المشرع أن يأمر بسجنهم وأن يخضعوا للعقوبات المنصوص عليها في قانون 412م.

وترى "أوديت فانيي" (O. Vannier)⁽⁶¹⁾ أن الدّوّارين في بغاي كانوا يشبهون جماعات من المتسولين والمساكين (Meskines) الّتي شوهدت قبل سنوات (من سنة 1926م) وهي تجوب مناطق مختلفة من الجزائر، نتيجة الصّعوبات الاقتصادية الّتي انجرت عن حالة البلاد آنذاك⁽⁶²⁾.

يبدو أنه من غير المنطقي تأييد وقبول هذا الرّأي، لأن قانون 412م لم يكن ليرفع جماعات من المتسولين إلى مرتبة "أوردو" (Ordo)، أي فئة اجتماعية لها عضويتها في المجتمع الإفريقي آنذاك، وأن يفرض عليها دفع غرامة مالية قدرها عشرة أرطال من الفضة!

وإذا كان "صوماني" قد اعتبر الدّوّارين مجرد رحل لا يملكون الأراضي و"عمال فلاحيين"⁽⁶³⁾، ينتقلون من ضيعة لأخرى بحثا عن العمل وعن القوت في الضيعات أثناء مواسم جني الزيتون وقطف العنب والحصاد. فإن "فراند" (Frend) حاول تحديد نوع الأشغال الفلاحية الّتي كانوا يمارسونها، ورأى أنهم كانوا يشتغلون في الزياتين المنتشرة في نوميديا الجنوبية شمال الأوراس،⁽⁶⁴⁾ أي في المنطقة الّتي تحدثت المصادر عن تركيز عمليات الدّوّارين فيها.

بينما يرى "منصو"⁽⁶⁵⁾ (Monceaux) أن الهراوات (Fustes) الّتي كانوا يستعملونها كسلاح في هجماتهم -حسبما جاء في نصوص أوغسطين-⁽⁶⁶⁾ كانت عبارة عن مخابط كانوا يستخدمونها في قطف الزيتون (Perticae)⁽⁶⁷⁾. وعلى هذا الأساس فإن "الأهراء الرّيفية" (Cellas rusticanas) الّتي كانوا "يحمون" حولها حسب تعريف "أوغسطين"⁽⁶⁸⁾، كانت بالأحرى "مخازن للزيت" (Cellaeoleariae)⁽⁶⁹⁾.

يبدو من الغريب أن يكون القديس "أوغسطين" قد أهمل الإشارة إلى أن هراوات الدّوّارين الّتي كانوا يعطونها الاسم الدّيني⁽⁷⁰⁾ عبارة عن مخابط الزيتون. ذلك أنه كان يهدف من وراء ذلك تدعيم مساجلاته الكلامية مع الدّوناتيّين، بتضخيم الأسلحة الّتي كانوا يهاجمون بها الكاثوليك.

6. المجال الجغرافي لثورة الدّوّارين في شمال إفريقيا: (خريطة رقم 1)

يظهر أن مجال عمليات العسكرية للدّوّارين قد توسع مع مرور الزمن حيث شملت عملياتهم معظم مناطق نوميديا في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد، ولم تبق مركزة في نوميديا الجنوبية شمالي الأوراس



فقط. كما لا يمكن إنكار وجودهم في شمال نوميديا في منطقتي هيبو- ريجيوس (عنابة) وكالاما (قالمة) على وجه الخصوص، كما امتدت شرقا إلى مدن البروقنصلية مثل موستي وتبورسيكوم بوري (تبرسق) وأسوراس. وهكذا نرى أن المهتمين بثورة الدّوارين وبالحركة الدّونانية من الكتاب الأفارقة المعاصرين لهم ("أوبطاتوس" و "أوغسطين") ومن الباحثين المحدثين، قد انقسموا إلى تيارين:

التيار الأول: يركز على ظروف الدّوارين الاجتماعية ونشاطهم الاقتصادي، مع إمكانية الاختلاف حول ما إذا كانت للحركة أهداف ثورية (71) أم لا؟ (72).

والتيار الثاني: يرى أن حركة الدّوارين حركة دينية في الأساس، فهم إما نوع من الرّهبان، (73) أو فرق متنقلة بين أضرحة الشّهداء المتناثرة في الأرياف الإفريقية (74).

وإذا كان "صوماني" قد دافع عن رأيه - السّابق الذكر- باعتبار الدّوارين "عمالا فلاحيين"، فإن الإيطالي "كالدرون" دافع هو الآخر عن أطروحته التي تعتبر الدّوارين "رهبانا"، ويرفض رفضا تاما أن يكون الدّوارون عمالا فلاحيين.

ويعتمد "كالدرون" في تبرير أطروحته على برهانين أساسيين هما:

1- يذكر "كالدرون" في أحد النّصوص يشير فيه إلى: « أن الدّوارين كانوا على صفة الرّهبان يتجولون في كل مكان، متنقلين عبر الأقاليم، لم يبعث بهم إلى أي مكان، ولم يستقروا في مكان واحد، بل كانوا دائمي التّنقل » (75).

2- ويرى "كالدرون" في مقام آخر أن الأمر يتعلق بتأويل كلمة "Cotopita" (76) التي ورد ذكرها عند "إيزيدور الإشبيلي" وهي مرادفة في المعنى لكلمة Circumcelliones: يطلق على الدّوارين اسم Circumcelliones، فهم "ريفيون" (Agrestes)، ويسمون أيضا Cotopitas التي هي كلمة إغريقية مرادفة للكلمة اللّاتينية Circelliones « (77).

ويعتقد "كالدرون" أن Cotopita كلمة قبطية مكونة من شقين: Ket (منفعل Kôet المرادف لللاتيني Circumuire: بمعنى دار حول) و aouvèt بمعنى: "تجمع للنساء" أو "صومعة الرّهبان"، والكلمة المركبة Két-aouvèt كانت تنطق Kétaubit وبالتالي أعطت Cotopita باللاتينية. وهكذا أصبحت كلمة Cotopita تعني: "الذي يدور حول بيع الرّهبان" وبما أنها مرادفة للكلمة اللّاتينية Circumcellio.

7. أحداث بغاي 347م ونقطة التّحول في مواجهة السّلطة الرّومانية

غيّرت أحداث بغاي سنة 347م الاتجاه القائل بالتّحالف بين الدّوارين والحركة الدّونانية قبل سنة 347 ودفعت بهما إلى التّحالف لمواجهة السّلطة الرّومانية.



فقد تركت الأحداث التي شهدتها نوميديا الجنوبية وبغاي تحديدا سنة 347م صدى واسعا في الكتابات الكاثوليكية والدّوناتية على حد سواء. (*)⁷⁸ كما أشار الدّوناتيون إلى تلك الأحداث خلال مناظرة قرطاجة سنة 411م، إلا أنّها تبقى إشارات عابرة.

تشير النصوص الدّوناتية إلى وجهة نظر الدّوناتيين إزاء تلك الأحداث حيث تتجنب استعمال لفظة "الدّوّارين" ربما للنعوت التي كانت عالقة به في رأيهم حسب "أوغسطين" ⁽⁷⁹⁾.

تعتبر أحداث بغاي سنة 347م منعرجا حاسما أثر على تطور مجريات الأمور التي عرفتها المنطقة. ولأجل ذلك، أصدر الإمبراطور "قنسطنس" قانونا (*) جديدا يؤكد الحكم الذي أصدره أبيه في سنة 316م. وبذلك يكون هذا القانون قد أبطل قانون التسامح الذي منحه الإمبراطور للكنيسة الدّوناتية سنة 321م. فأصبح الدّوناتيون – بموجب هذا القانون- معرضين للنفي ومصادرة كنائسهم إذا ما أقدموا على رفع دعوى ضدّ الكاثوليك بتهمة الارتداد التي كانت تهمة ملفقة حسب حكم "قنسطنين" ⁽⁸⁰⁾.

ويشير "مارطروي" أن الدّوناتيين أنفسهم يعترفون أن "بولوس" و"ماكاريوس" لدى وصولهما إلى قرطاجة، لم يقوموا بأي عمل يتطلب اللّجوء إلى العنف. بل قاما بتوزيع الهبات والمساعدات التي بعث بها الإمبراطور "قنسطانس" وحث الكنيستين المتناحرتين على التّصالح وتحقيق الوحدة الدّينية ⁽⁸¹⁾، لكن لما انتقل المبعوثان الإمبراطوريان إلى نوميديا، وقع الاصطدام في مدينة "بغاي" سنة 347م، حيث أقدم المبعوثان إلى طلب تدخل الجيش، بينما استنجد أسقف بغاي الدّوناتي بالدّوّارين "المناضلين" ⁽⁸²⁾.

ودارت معركة بغاي بين جيش الكونت "سيلفستر" (Sylvestre) و"الدّوناتيين"، وقد اتخذ المبعوثان الإمبراطوريان إجراءات في غاية القساوة. وأشارت المصادر أن بعض الأساقفة الدّوناتيين تعرضوا إلى الإهانة بجلدهم، وقتل بعضهم ⁽⁸³⁾ وسجن البعض الآخر ⁽⁸⁴⁾.

وقد أورد "أوبطا الميلي" أحداث بغاي في الفصل الرابع من كتابه الثّالث، ويلخص تلك الأحداث فيما يأتي: «... كانت مهمة "بولوس" و"ماكاريوس" تلخص في القيام بتعداد الفقراء، وتوزيع الصّدقات عليهم من جهة، والحض على الرّجوع إلى الوحدة الدّينية من جهة ثانية. وعندما اقترب المبعوثان من مدينة بغاي، اعتزم أسقفها الدّوناتي المسمى "دوناتوس" وهو عدو الوحدة الدّينية، عدم الرّضوخ لهما ومقاومتهم. ثم بعث المنادين (Praecones) إلى ضواحي مدينة بغاي وإلى كلّ الأسواق (Nundinae) كي يستدعي الدّوّارين "المناضلين" (Circumcelliones Agonisticos) إلى التّجمع في مكان ما كان قد عينه لهم. وهكذا طلب عندئذ العون من أولئك (الدّوّارين) الذين كانت أعمالهم الجنوبية تعتبر قبل قليل عند أولئك الأساقفة (الدّوناتيين) أنفسهم كهيبة من الزندقة والكفر... » ⁽⁸⁵⁾.



والحقيقة أن "دوناتوس" أسقف بغاي قاد "جمهرة ثائرة" (*Furiosam turbam*) من الدّوّارين واجه بها مبعوثي الإمبراطور "صانعي الوحدة" (*Operarii unitatis*) اللّذان -خوفاً على الأموال التي كانا يحملانها- اضطرا إلى طلب تدخل جنود الكونت "سيلفستر"، الذي لم يكن في نيته الهجوم، لولا الحشود التي جمعها "دوناتوس" من الدّوّارين، وحول كنيسته إلى مخزن للحبوب والمؤن والأسلحة.

وكانت فرقة عسكرية مرافقة للبعثة قد انفصلت -عند مشارف مدينة بغاي- تتكون من جنود الاستطلاع (*Metatores*) كلّفوا بتهيئة المخيم. إلّا أنّهم فوجئوا بهجوم مجموعة من الدّوّارين فجرح بعضهم. فلما رأى رفاقهم تلك الجروح ثارت ثائرتهم وأرادوا الانتقام، وهكذا قتلوا بضعة أفراد من الدّوّارين.

يتضح من رواية "أوبطا الميلي" أن الهدف من سردها هو إبعاد التّهم عن الرّومان وتحميلهم مسؤولية تدخل الفرقة العسكرية ضدّ "دوناتوس" والدّوّارين. لذلك حاول تبرير ما حدث بأن المبعوثين الإمبراطوريين لم يطلبوا تدخل الجيش إلّا بعدما علما أن "دوناتوس" كان يستكمل استعداداته الحربية بجمع المؤن والأسلحة في الكنيسة.

والملاحظ أيضاً أن "أوبطا الميلي" حاول التّقليل من أهمية حادث "بغاي"، رغم أنه اعتبره منطلق عمليات القمع التي مست التّوميد والمغاربة بشكل عام.

يعد ما شاهده مدينة "بغاي" سنة 347م حدثاً خطيراً، وإلّا لما ظلّ ماثلاً في الأذهان بعد مرور عشرين سنة، أي في التّاريخ الذي كتب فيه أوبطا الميلي مؤلفه. (*) بل أثير هذا الحادث في مناظرة قرطاجة سنة 411م، أي بعد أكثر من نصف قرن من وقوعه. ونرجح أن يكون عدد قتلى الدّوناتييين أكثر من "بضعة أفراد" وأن عدد جرحى الفرقة العسكرية كان أكثر من "اثنين أو ثلاثة جنود" كما ادعى "أوبطا الميلي".

وتعتقد "فاني" (*Vannier*) أن المجادل الكاثوليكي أعطى لحادث "بغاي" أهمية أكثر مما كان بالفعل. وأن الأمر لا يعدو أن يكون "هجوم مجموعة من اللّصوص على قافلة، وهو أمر عادي يتوقع حدوثه في تلك الفترة "القرن الرابع" التي عرفت فيها الإمبراطورية الرّومانية أزمتا اقتصادية واجتماعية" (86).

ونجد في المقابل، أن "أوبطا الميلي" وجه تهماً إلى أسقف بغاي الدّوناتي، وحمله مسؤولية تنظيم مقاومة البعثة الإمبراطورية. أما الدّوّارون فكانوا - على حدّ قوله - مجرد أداة طيعة في أيدي الدّوناتييين، بحيث يمكن للأسقف الدّوناتي أن يجمعهم "في المكان الذي حدده لهم".

والحقيقة أن الدّوّارين كانوا قبل أحداث "بغاي" مستقلين عن الكنيسة الدّوناتية غير مهتمين بالخلافات المذهبية التي عرفها المغرب القديم بين الكاثوليك والدّوناتييين. وكانت عملياتهم الثّورية موجهة ضدّ الملاك والأسياد والمستغلين. كانوا يتمردون على أوامر الأساقفة الدّوناتييين مما دفع هؤلاء إلى طلب تدخل الجيش ضدّهم، فكانت مجزرة "محلة أكتافا" (*Locus octavensis*) وهذا ما أورده "أوبطا الميلي" بقوله: «... وهكذا



طلب العون من أولئك الذين كان الأساقفة أنفسهم يرون قبل قليل أن جنونهم اشتعل بطريقة مدنسة» (87).

8. خاتمة

يتّضح ممّا سبق عرضه من مختلف الأطروحات التي حاولت تفسير ماهية الدّوّارين وطبيعة حركتهم وعلاقتهم بالحركة الدّوناتية، على أنّهم كانوا يشكلون فئة اجتماعية (أوردو - Ordo) تتألف من رجال أحرار يعيشون في الأرياف النّوميديّة، وينتمون-في معظمهم - إلى أصل إفريقي غير مترومن. وكانت مكانتهم الاجتماعية وضعيّة، رغم أن نصوص الكتاب الكاثوليك تشير إليهم على أنّهم كانوا خليطاً من اللّصوص وقطاع الطّرق والخارجون عن القانون.

إلاّ أنّه لا يمكننا قبول هذه النّظرة الأحادية لأنّ الكاثوليك هم خصومهم فكان من الطّبيعي أن يصفوهم بتلك الأوصاف. ومن جهة أخرى فإنّ الاشتقاق اللّغوي لكلمة "دوّارين" *Circumcelliones* هم أنّهم أولئك الذين يدورون ويحومون حول مخازن المؤن ومستودعات الحبوب الموجودة في الضّيعات، وكما أن *Cellasrusticanas* لا تعني بيوت الرّهبان ولا أضرحة الشّهداء بقدر ما تشير إلى الأهرام الرّيفيّة. لذلك كان الدّوّارون -على الأرجح- جماعات من الرّحل تبحث عن العمل في الضّيعات خلال المواسم الفلاحية (حصاد، قطف العنب والزيتون) وهي تجوب مختلف الأرياف والبوادي النّوميديّة، وقد تحصل على مبتغاها باستعمال القوة. وما دفعها إلى ذلك الضّيم الاجتماعي والاستغلال الاقتصادي الذي مارسه كبار الملاك بمباركة السّلطة الرّومانية.

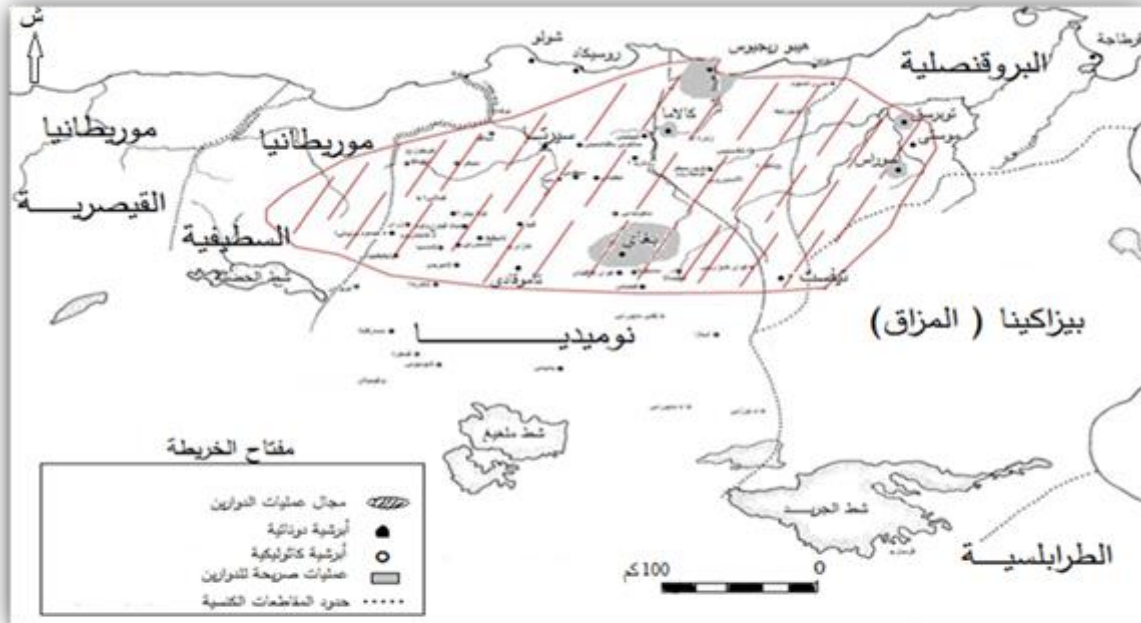
وكان من الطّبيعي، أن الواقع الاجتماعي والاقتصادي للدّوّارين كعمال موسميّين ومتنقلين، لا ينفي أن يكون لهم انتماء لمذهب ديني، يعتمدون عليه في ثورتهم الاجتماعية المسلّحة، لتطلق عليهم عدة تسميات ونعوت "كعساكر الدّوناتية" و"المصارعين" وغيرها، حيث كانوا يهاجمون الكنائس والأساقفة الكاثوليك، ويزورون



أضرحة الشهداء. فلا يجوز إذن تجريد الدّوّارين من كلّ السّمات التّاريخية الّتي ظهروا بها خلال الصّراع الطّويل بين الكاثوليكية والدّوناتية.

انطلقت أحداث الثّورة في نوميديا، وعند مشارف مدينة بغاي بالذات. بسبب ظروف خاصّة اتسمت بها تلك المنطقة جعلت الإقليم مهيأ سلفاً لوقوع مثل تلك المواجهات بين السّكان والسّلطات الرّومانية. يظهر أن عمليات الدّوّارين الموجهة ضدّ الملاك والأسياد -كما أسلفنا- كانت هي الأخرى مركزة في نوميديا، وهي الّتي عرف القسم الجنوبي منها عمليات حركة "أكسيدو" و"فازير" في حوالي سنة 340م، وظلت تلك المنطقة -حتى عهد "أوغسطين"- وخاصة منها منطقة بغاي حقلاً رئيسياً لعمليات الدّوّارين. كانت نوميديا على مرّ العصور مهد الثّورات الاجتماعية والعسكرية، والواقع أن هناك عدة عوامل تضافرت لتجعل من تلك المنطقة مجالا مهيأ للثورة ضدّ الاحتلال الرّوماني. كما كانت أيضاً نقطة التقاء بين التّمرد الاجتماعي الذي يمثله الدّوّارين والتّمرد الدّيني الذي يمثله الدّوناتية ضدّ الكنيسة الرّومانية.

8. الملاحق:



خريطة رقم 1: المجال الجغرافي لثورة الدّوّارين في شمال إفريقيا خلال القرنين 4-5م

المصدر: محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم، حركة الدّوّارين وعلاقتها بالدوناتية (305-429م)، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية **الناط**، 2001، ص 362. (بتصاف الباحث)



fig 1. Photo Rabie OULMI



fig 2. Photo Rabie OULMI

الشّكل رقم 2: نقيشتي "أوبطاتوس الجيلدوني" بكنيسة تيمقاد (شرق الجزائر)
1- فسيفساء هندسية تحمل نقيشتي "أوبطاتوس الجيلدوني" بكنيسة تيمقاد، وجدت النقيشة الأولى عند مدخل اليهود وتحمل الكتابة الآتية: HAEC LUBENTE / SACERDOTE / TATO PERFECTE
وترجمتها كالآتي: "أنهيت هذه الأعمال حسب رغبة أوبطاتوس تماما"
2- النقيشة الثّانية (مشوهة) وجدت في وسط الباحة المعمدية وتحمل الكتابة الآتية: QUANTA [LAUS] NOMINI [ILLIUS] ... ?
وقد تشير إلى اسم كاتب النقيشة: "كو انتالوس نومييليوس"
المصدر: عولمي الربيع، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس للميلاد، أطروحة دكتوراه في التّاريخ القديم، جامعة باتنة-1 الجزائر، 2015-2016، ص 670.



- 1 -Lancel (S.), **Aux origines du Donatisme et du mouvement des Circoncellions**, (C.T., 57-60), 1967, pp 183-188.
- 2 -Vannier (O.), **les Circoncellions et leurs rapports avec l'église Donatiste d'Après le Texte d'Optat**, *Rev. Afri.*, n° 67, 1932, pp.13-28.
- 3 -Brisson (J.P.), **Autonomisme et Christianisme en Afrique Romaine**, Paris, , 1958, p.328.
- 4 -Brisson (J.P.), .), **Autonomisme et Christianisme.**, pp.350-353.
- 5- وردت أول إشارة إلى الدّوّارين في كتابه "ضدّ الانشقاق الدّوناتي" (De Schismate Donatistarum) والذي يعود تأليفه إلى حوالي 367-366م. Monceaux (P.), *Histoire Littéraire de l'Afrique Chrétienne depuis les origines Jusqu'a l'invasion arabe*, Ernest Leroux, Paris, 1901-1923, t. V, pp. 241-263.
- 6 -Optat (St.), III, 4.
- 7 -Monceaux (P.), .H. L. A. C., IV, p.180.
- 8 -Optat (St.), III, 4.
- 9 -Augustin (St.) Epist., CVIII, 6, 18.
- 10 -Optat (St.), III, 4.
- 11-Vannier (O.), Op.cit., p.1.
- 12 -Félix Gaffiot, **Dictionnaire Abrégé Latin Français.**, , Paris, 1936. p. 103-111 : Cella, Circum.
- 13-Ibid., p.103: « cella : 1° endroit où l'on serre qq. ch., grenier, magasin, cellier : cella Vinaria, Olearia, Penaria.
- 14 -Augustin (St.), Enarr. in Psalm., CXXXII, 3.
- 15- Id., Cont. Gauden., I, XXVII, 32
- 16- -نذكر منهم:
- Monceaux (P.), **Histoire Littéraire de l'Afrique Chrétienne depuis les origines Jusqu'a l'invasion arabe**, Ernest Leroux, Paris, 1901-1923, IV, p.180.
- Courtois (Ch.), **les vandales et l'Afrique**, Paris, 1955, p. 144.
- Brisson (J.P.), **Autonomisme et christianisme...**, 1958, p.332
- 17- Frend (W.H.C.), **The Cellae of the African Circumcelliones**, *J.T.S.*, 1952, pp.89-90.
- 18 -Berthier (A.), **les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale**, Alger, 1942, pp. 139,147.
- 19- Frend (W.H.C.), **Circumcelliones and monks**, *J.T.S.*, vol. II, new series, pp.546-548
- 20- Calderone (S.), **Circumcelliones, Parola del Passato**, vol. II, Fasc. CXIII, 1967, p.102.
- 21- Optat (St.), III, 4 ; Vannier (O.), Op.cit., p.17.
- 22 - -Saumagne (Ch.), **Ouvriers agricoles ou rôdeurs de celliers, les Circoncellions d'Afrique**, *A.H.E.S.*, T.VI, n° 28, 1934, (pp.351-364), p. 357.
- 23 -Cod.Theod., XVI, 5, 52.
- 24 -Kolendo (J.), « **Sur la législation relative aux grands domaines de l'Afrique romaine** », *R.E.A.*, LXV, 1963, p.83.
- 25 - t. 78, Paris, 1914, p.134.. Martroye (F.), « **la répression du Donatisme** », *M.S.N.A.F.*,



- 26 -Saumagne (Ch.), **Ouvriers agricoles ou rôdeurs de celliers...**, p.353.
- 27 - Gagé (J.), **les classes sociales dans l'empire romain**, p.39 ; Fredouille (J.C.), Dictionnaire de la civilisation romaine, Paris, Larousse, 1968, p. 66 ; Félix Gaffiot, Dictionnaire Abrégé Latin Français, p.438, (col. 3 : ordo, ordines : ordre, classe sociale, (Sénateurs, Chevaliers, Plébéiens à Rome).
- *-الباحثان هما: pp. 335-336. -Brisson (J.P.), **Autonomisme et christianisme...**
- Tengström (E.), **Donatisten und Katoliken...**., Göteborg, 1964, pp.27-31.
- 28- Saumagne (Ch.), **Ouvriers agricoles ou rôdeurs de celliers...**, p.356.
- 29- Brisson (J.P.), Op.cit., p.355-356.
- 30- Tengström (E.), Donatisten und Katoliken... ., Göteborg, 1964, pp. 27-31 ; d'après Lancel (S.), **C.R. de Tengström, R.E.L.**, 1965, P. 638.
- 31-Saumagne (Ch.), **Ouvriers agricoles ou rôdeurs de celliers...**, pp. 355,358.
- 32- Brisson (J.P.), Op.cit., p. 3332

*-أذكر منهم : سارج لانسال وكالدرون Idem (S.), - Lancel

- Calderone (S.), Op.cit., p.89.

- 33- Cod. Theod., XVI, 5-54.
- 34- Saumagne (Ch.), **Ouvriers agricoles ou rôdeurs de celliers...**, pp.356-357.
- 35- Saumagne (Ch.), Ibid., p.357.
- 36- Frend (W.H.C.), **Circumcelliones and Monks**, Op.cit., p.549.
- 37- Optat (St.), III, 4.
- 38- Augustin (St.), **Contra Epistulam Parmeniani**, I, 11, 18; Optat (St.), I, 26.
- 39- Brisson (J.P.), **Autonomisme et christianisme...**, p.338.
- 40 - Augustin (St.), Epist., CVIII, 5,14.
- 41 - Hamman (A.G.), **la vie quotidienne en Afrique du nord au temps de Saint-Augustin**, Paris,1979, p.60.
- 42- Augustin (St.), Cont. Cresc., VI, L, 60.
- 43- Augustin (St.), Cont. Cresc., VI, L, 61.
- 44- Félix Gaffiot, **Dictionnaire Abrégé Latin Français.**, p.111, (circuitus=action de faire le tourcircuitors= ceux qui rôdent autour).
- 45- Augustin (St.), Cont. Gauden., I, XXVII, 31- XXIX, 33.
- 46 - Optat (St), III, 4.
- 47 - Augustin (St.), Cont. Litter. Petil., II, 83,184.
- 48 - Augustin (St.), Epist., CVIII, 5, 14.
- 49 - Félix Gaffiot, **Dictionnaire Abrégé Latin Français.**, p.40. Agreste, paysan, grossier, inculte, brut : Agreste=Agrestis
- 50 - Monceaux (P.), **R.H.R.**, t. 64, 1911, p.42.
- 51 - Monceaux (P.), H.L.A.C., le Donatisme, IV, 1912.
- 52 - Vannier (O.), **les circoncellions et leurs rapports avec l'église donatiste d'Après le Texte d'Optat**, **Rev. Afri.**, n° 67, 1932, pp.13-28.
- 53 - Brisson (J.P.), **Autonomisme et Christianisme dans l'Afrique Romaine**, Paris, 1958.



- 54- Saumagne, **Ouvriers agricoles**, pp. 351-364.
- 55- Tengström (E.), **Donatisten und Katoliken...**, Göteborg, 1964, pp. 27-31 ; d'après Lancel (S.), C.R. de Tengström, R.E.L., 1965.
- 56- إريك تنغستروم، (ErikTengström)، (1996-1913)، عالم فلك سويدي.
- 57- Calderone (S.), **Circumcelliones, Parola del Passato**, vol. II, Fasc. CXIII, 1967, p.102.
- 58- Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, pp. 180.
- 59- Ibid., IV, p. 181.
- 60 - Saumagne (Ch.), **Ouvriers Agricoles...**, pp. 353-354.
- 61 - Vannier (O.), **les Circoncellions et leurs rapports avec L'église Donatiste d'Après le Texte d'Optat**, Rev. Afri., n°.67, 1926, pp.13-28.
- 62- Vannier (O.), Ibid., pp. 26-27.
- 63- Saumagne (Ch.), **Ouvriers agricoles...**, p. 359.
- 64-Frend (W.H.C.), **Circumcellions and monks**, J.T.S., pp. 542-549.
- 65 - Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, P.181.
- 66- Augustin (St.), **Psalmus Contra Partem Donati**, 144-163.
- 67 - Frend (W.H.C.), **Circumcellions and monks**, Op.cit., p. 543
- 68- Augustin (St.), Cont. Gauden., I, XXVII, 31-XXIX, 33.
- 69- Frend (W.H.C) **Circumcellions and monks**, Op.cit., p. 543.
- 70-Simon (M.), **le Judaïsme Berbère dans l'Afrique Ancienne**, Revue d'Histoire et de philosophie religieuse (R.H.Ph.R.), XXVI, Strasbourg, 1946, p. 21 ; (repris dans ; Recherches d'histoire Judéo- Chrétienne, Paris -la Haye, 1962, p.46 ; Monceaux (P.), H. L. A.C., IV, p. 181 ; Moliner- Violle, Timgad, ses fouilles et ses découvertes, F.Soldati, Batna, 1891, p.12.
- 71- Brisson (J.P), **Autonomisme et christianisme...**, Op .cit, p.341.
- 72- Lancel (S.), C.R. de Tengström, R.E.L., 1965, p. 639.
- 73- Calderone (S.), **Circumcelliones...**, Op.cit., p.108.
- 74- Frend (W.H.C.), J.T.S., 1952, pp. 87-90.
- 75- Calderone (S.), Op.cit., pp. 100-101.
- 76- Ibid., pp. 102-105.
- 77- Félix Gaffiot, **Dictionnaire Abrégé Latin Français.**, pp. 308-310.

* - من هذه الكتابات نذكر كتاب أوبتا الميلي: Optat (St.), III, 4، وكتابي أوغسطين: Augustin (St), Psalmus Contra Partem Donati, 144-163 ; Contra Epistulam Parmeniani, I, XI, 1 ; Passio Marculi وكتابي: Passio Marculi (آلام ماركولوس) - Monceaux (P.), H.L.A.C., V, pp.35-98. (آلام ماكسيميانوس وإسحاق). Passio Maximiani et Isaac،

79 -Augustin (St.), Ennar in Psalmus, 132,6.

* - كان المرسوم Edictum في التشريع الروماني مؤقتا وقابلا للنقض ينتهي بانتهاء مهمة صاحبه (حاكم أو إمبراطور)، أما القانون "Decretum" بمعناه الروماني فيعني قرار اتخذه الإمبراطور وهو عبارة عن حكم قضائي يطبق مقتضيات الحكم الصادر على الدوناتية. ولما كانت الأحكام القضائية قابلة للمراجعة والاستئناف، فإن الكاثوليك كانوا يسعون عند وصول إمبراطور جديد إلى العرش أن يصدر قانونا جديدا يؤكد الأحكام السابقة. -Martroye (F.), la répression du Donatisme, pp.65-66.

- 80 - Ibid., p. 68.
- 81 - Martroye (F.), Op.cit., p. 69; Warmington (B.H.), The North African Provinces..., p93.
- 82 -Optat (St), III, 4.
- 83 -Martroye (F.), la répression du Donatisme , pp.49-50.



84- Optat (St.), II, 15.

85-Optat (St.), III, 4.

* - ترك أوبطا الميلي مؤلفه الوحيد الذي خصصه للرد على "بارمينيانوس" Parmenianus أسقف قرطاجة الدّوناتي من 363م إلى 391م، ويعرف كتابه بأحد العناوين: 1- الرد على "بارمينيانوس" الدّوناتي Contra Parmenianum Donatistam، 2- في الانشقاق الدّوناتي De Schismate Donatistarum، استطاع "مونصو" تحديد تاريخ نشر الكتاب خلال الفترة ما بين أكتوبر 366 م إلى أوت 367م. - Monceaux (P.), H.L.A.C., V, p.251.

86 -Vannier (O.), Op.cit., p. 25.

87 - Optat (St.), III, 4.

